الترابط النصي في قصيدة (على قدر أهل العزم...) للمتنبي (على ضوء علم اللُّغة النصي)

حسام الدين دفع الله عبدالله
جامعـة السودان التقانيـة – كليـة ود مدني التقنيـة

المستخلص:

هدفت الدراسة إلى امكانية قراءة نص شعري تراثي من خلال علم اللغة النصي، وبيان اوجه الربط النصي المختلفة في اللفظ والمعنى، اتبعت الدراسة المنهج الوصفي الذي يعتمد على الملاحظة والاستقراء لبعض مستويات الربط النصي على مستوى اللفظة والتركيب والمعنى، اشتملت الدراسة على مقدمة وتمهيد ومبحثين وخاتمة، تناولت المقدمة علم اللغة النصي ومجالاته واهتماماته وربطه بما وجد في التراث العربي، وتمهيد حول الشاعر والنص، وخصص المبحث الأول للمعايير النصية والترابط النصي، وخصص المبحث الثاني للربط المعنوي والدلالي توصلت الدراسة إلى عدة نتائج من بينها أن بنى النص الشكلية جاءت في وحدات معنوية متصلة ،وأن الشاعر وظف القافية في زيادة المعنى وتمامه، وان الربط النصي تمثل في اللفظ والمعنى بأدوات الربط المختلفة، كما أنه وظف الأساليب الفنية في جذب الانتباه وتثبيت المعنى.

الكلمات المفتاحية: *الموقف الاتصالي، السبك، الربط النحوي، المعايير السياقية.*

ABSTRACT:

The study aimed at possibility of heritage poetry textual reading through textual linguistics statement of the different textual link in word and meaning. The study to followed destructive method which depend on the observation and induce. Meant for some, textual, syntactic and semantic linking levels.

The study included an introduction, a preface. Two researches, and a conduction. The introduction was based on textual linguistics, its researches', interests and link them with what was found in Arabic heritage, preface was about poet and text. The first research specify for textual criteria and textual interconnection. The second research specify grammatical and semantic linking.

The study reached several results among the, was formative text came in a related moral units and the poet employed rhyme to increase the text . The textual link is represented in the word pronoun citation and meaning of the different linking tools. Also emplys technical method to attract attention and install meaning.

Key word*: communicative situation, casting , grammatical linking and contextual criteria.*

مقدمـة

اتجهت الدراسات اللغوية الحديثة إلى تحليل النصوص في ضوء المناهج الحديثة، والتي من بينها علم اللغة النصي الذي يُعد فرعاً من علم اللغة العام واللسانيات الحديثة وفيه((فقد أهتم العلماء بالنص وأبرزوا الطبيعة الكلية للنصوص والعوالم التي تدخلفي تكوين نسيج النص وأسهم فيه أيضاً التفاعل بين حقلي الأدب واللُّغة وظهور اللسانيات الحديثة والأَسلوبية التي جمعت بين الأدب واللَّغة والبلاغة))، نحو النص في ضوء التحليل اللساني للخطاب(مصطفى النحاس، 2002م، ص5م).

وهو من المناهج النقدية الحديثة التي ساعدت الدارسين على قراءة النصوص الإبداعية شعراً ونثراً في ضوء الظروف التي انتجتها ومدى علاقتها بالنص التي تشكل جزءاً من دلالته فهو يدرس النص في ضوء وحدته اللغوية الكبرى فيحلل الجملة في إطار علاقتها بما يجاورها ويدرس التشابك بين الجمل ويدرس الوظيفة الدلالية للعناصر النحوية ويربطها بمضمون النص الكلي (سعيد بحيري، 1986م، ص8).

وهوبهذا المفهوم يختلف عن النظرة التقليدية لتحليل النصوص، والتي تشرح معاني الألفاظ شرحاً معجمياً بعيداً عن ما جاورها من ألفاظ، وبعيداً عن مضمون النص الكلي، فعلم النص((يدرس تركيب النص، ويدرس أيضاً عناصر التوظيف الاتصالي (وسائل الاتصال) فالنص مجموع التراكيب والاشارات الاتصالية التي ترد في تفاعل تواصلي، فجمع علم النص بين علم اللّغة الجملي(علم النحو) و(علم الاتصال)) (فولفجانج هاينه، 1996م،ص78).

وقد أسهم علم اللُّغة النصي في تحليل النصوص متجاوزاً مفهوم الجملة ومعناها الحرفي إلى مجموع الجمل التي يتكون منها مضمون النص الكلي،(فالنص سلسلة متماسكة من الأجزاء (fragments) في صور جمل لها نظام فعال (syactual systuak) مضمون عام وليس لها نظام افتراضي كالجملة (virtual system) (تمام حسان،1998م، ص12).

ففي علم اللُّغة يُعد النص جملاً تشكل نصاً يعتمد على علاقات الترابط بينها، كما يعتمد على مؤثرات لغوية حيث تم توسيع مفهوم النص من خلال وصف العلاقات الداخلية والخارجية للأبنية النصية بمستوياتها المتعددة، مع شرح وتوضيح المظاهر المختلفة لأشكال التواصل اللغُوي، وطرق استخدام اللُّغة، بحيث يتم تحليلها على اعتبارها نظاماً من الأنظمة به مجموعة من العناصر، كل عنصر فيها له وظيفة يسهم في أدائها عمل المجموعة.

وفي ذلك يقول فولفجاغ هاينه:((إن علم اللّغة النصي علم لا يدرس أبنية النص فقط، بل يدرس أيضاً صفات التوظيف الاتصالي للنصوص...مع احاطتها بالعلاقات الاتصالية والاجتماعية والنفسية العامة))(فولفانج هايني، 1996م ص345).

كما اعتمد علم اللُّغة النصي على ما يعرف بالتماسك الدلالي الذي يتضمن جوانب دلالية من خلال الاعتماد على فكرة العلاقات الدلالية المميزة في اللسانيات الحديثة بتلاحم الأجزاء والترابط النصي وهو ما عُوف قديماً بالسبك والحبك والاستخدام في تقييم الأعمال الأدبية وخاصة الشعر، كما ورد عند الجاحظ في تقييمه للشعر الجيد قائلاً:((فليعلم بذلك أنه أفرغ إفراغاً جيداً وسبك سبكاً واحداً، فهو يجري على اللسان كما يجري على الدهان)) (الجاحظ، 1978، ص 50).

والسبك يعني:((اللحمة التي تربط بين اجزاء الكلام)) (ابن طباطبا، 1985م،ص 228)

وهذا الترابط يكون في اللفظ والمعنى وانسجامهما كما قال أبو الأصبع المصري:((وهو أن يأتي الكلام متحدراً كتحدر الماء المنسجم، بسهولة سبك وعذوبة ألفاظ وملائمة تأليفه حتى يكون لجمله من المنثور والبيت من الموزون وقع في النفوس وتأثيره في القلوب ما ليس لغيره))(ابن أبي الأصبع،1967، ص352).

وقد ظهر مفهوم السبك في اللسانيات الحديثة عند المحدثين بمفهومه السابق فهو يعني:((التماسك أو الترابط اللفظي الظاهر علي سطح النص من خلال وسائل لغوية تربط بين اجزاء الكلام فيتحقق التلاحم النصي)) (محمد الخطابي،1999م، ص72).

أما الحبك عند المحدثين فهو حسن ملائمة التأليف بين المعاني فإذا اتسم النص بالسبك والحبك– وهما قريبان في المعني– يكون النص قد جمع عنصري الإبداع والتي تمثلت في تآخي المعاني، وتناسب الألفاظ وهو ما يعرف بالتماسك بين أجزاء النص على مستوي اللفظ والمعنى مما يحقق الوحدة النصية والعلاقات النحوية والدلالية والاتصالية للنص.

ومن المعلوم أن بناء النص الشعري يتكون من الصوت، والكلمة، والجملة عن طريق التأليف والمجاورة بينها فضلاً عن العناصر الدلالية لينتج الصور والايقاعات الشعرية التي تميز الشعر عن غيره أو كما قال:((إن ثمة تراسلاً بين التأثيرات الحسية التي تصورها اللغة، فالانطباعات الصوتية محكومة لبعض الأصوات من قدرة – مهما تكن درجتها_ على إحداث تأثيرات معينة، لا تظهر إلا إذا اسعفتها العوامل الدلالية، اتجاهات البحث الاسلوبي)).

فالشعر الجيد كما قيل قديماً هو الذي اتسقت ألفاظه في سلالة ويسر دون تنافر أو غرابة أو متلائمة أجزاؤه وكان سهل المخارج.

وقد مثل النص موضوع الدراسة نموذجاً من النصوص ذات الألفاظ المشحونة بفيض من الانفعالات النفسية لمبدعها، فضلاً عن تكثيف المعنى، ودقة التصوير والوصف الدرامي للأحداث.

ومن هنا رأت الدراسة أن تتخذ من هذا النص نموذجاً للكشف عن الترابط النصي من خلال المستويات اللفظية والدلالية والاتصالية للنص، والذي يُعد من النصوص التراثية الخالدة في الوصف والمدح في العصر العباسي، والتي اشتهر به المتنبي في مدح لسيف الدولة أو كما قال شوقي ضيف:((ومدائحه لسيف الدولة تعد في الذروة لا من شعره وحده، بل من الشعر العربي عامة)) (شوقي ضيف،(د.ت)،ص308).

ولتحقيق هذا الهدف انتظمت الدراسة منهجياً وفق المحاور الاتية:

المبحث الاول: المعايير النصية والترابط النصي

المبحث الثاني: أ– الربط النحوي(التركيبي) ترابط الجمل

ب– الربط الدلالي(المعنوي)

واشتملت الدراسة على مقدمة وتمهيد حول الشاعر والنص، وختمت بخاتمة احتوت على أهم النتائج.

تمهيد:

شاعر النص (المتنبي) الذي شغل الناس و ملأ الدنيا بشعره، وهو أبو الطيب أحمد بن الحسين الكوفي الكندي (303 354هـ) ولد بمحلة كندة بالكوفة حيث بدأت عليه أمارات النجابة مبكراً، فاشتهر بقوة الذاكرة، وشدة الذكاء، والنباهة، أخذ العلم من علماء الكوفة وانتقل إلى الشام ونزل بالقبائل البدوية فأخذ عنهم الفصاحة واستقام له الشعر، وعُرِف بشاعر الحكمة، اتصل بسيف الدولة الحمداني أمير حلب الذي قربه واصطحبه معه في رحلاته وحروبه، سميت القصائد التي قالها في سيف الدولة (بالسيفيات)، مات مقتولاً في طريق

عودته إلى العراق سنة(354هـ). له ديوان جمع فيه كثيراً من شعره الذي شمل كثيراً من أغراض الشعر المعروفة من مدح وفخر ووصف ورثاء وغيرها.

أما النص موضوع الدراسة هو إحدى قصائده التي عرفت بالسيفيات التي مدح فيها سيف الدولة الحمداني وصف فيها المعركة التي انتصر فيها على الروم في ثغر (الحدث) على حدود الدولة الإسلامية، والتي نلمح فيها صدى القوة التي يومن بها الشاعر والانتصار الذي يحلم به على الأعداء وتعد من القصائد الحماسية، والتي توحي لقارئها وكأن الشاعر كان مشاركاً في المعركة فعلياً وليس شاهداً عليها، ويتجلى ذلك من قدرته على خلق الصور الخيالية التي تبين كل تفاصيل ما يحدث في ساحة المعركة، وهذا لا يتأتى إلا كما قال شارح ديوانه:((اتحاد الشعور العميق بالتفكير العميق والدقيق في الملاحظة مع القدرة على التفكير في تحديد الأشياء المرئية)) (ديوان المتنبي، 1978م،المقدمة).

أما موضوع النص فهو وصف تلك المعركة ووصفاً دقيقاً ومدح الممدوح بصور خيالية تعبر عن أعجابه بشخصية الممدوح، وشجاعته اعتمدت على الخيال، وقد احتوى النص على ثلاث بنى رئيسية تمثلت على طول النص الذي بلغ (ستة وأربعون) بيتاً هي الإرادة والعزيمة والهمة العالية للممدوح، والتردد والهروب للروم على كثرة عددهم وعدتهم، وثالث هذه البنى النتيجة لهذه المقابلة الانتصار الباهر في المعركة.

هذه البنى الرئيسية عُوضت من خلال أفكار جزئية في أقسام ستة هي:

1- عَلى قَدْرِ أَهْلِ الْعَزْمِ تأتي العَزائِمُ وَتأتي علَى قَدْرِ الكِرامِ المَكارِمُ
يُفَدّي أَتَمُّ الطَّيرِ عُرْواً سِلاحَهُ نُسُورُ الفَلا أحداثُها والقَشاعِمُ

ففي العزيمة والإرادة طريق الانتصار.

2-وَقَد حاكَموهَا وَالمَنَايَا حَواكِمٌ فَما ماتَ مَظلُومٌ وَلا عاشَ ظالِمُ

وصف المعركة.

3-أَتَوكَ يَجُرّونَ الحَدِيدَ كَأَنَّهُم سَرَوا بِجِيادٍ ما لَهُنَّ قَوائِمُ
تَقَطَّعُ ما لا يَقطَعُ اللَّبَّ وَالقَنَا وَفَرَّ مِنَ الفُرسانِ مَن لا يُصادِمُ

وصف جيش الروم بعدته وعتاده.

4- وَقَفتَ وَما في المَوتِ شَكٌّ لِواقِفٍ كَأَنَّكَ في جَفنِ الرَّدى وَهوَ نائِمُ
إِذا زَلِقَت مَشيَتُهَا بِبُطونِهَا كَمَشيِ النَّشَا في الصَّعِيدِ الأَراقِمُ

الحديث عن قوة الممدوح.

5- أَفي كُلِّ يَومٍ ذا الدُّؤادُ مُقَدِّمٌ قَفاهُ على الإِقدامِ لِلوَجهِ لائِمُ
يُسَرُّ بِما أَعطاكَ لا بِهِ جَهالَةً وَلَكِنَّ مَعْرُوفاً نَجا مِنكَ غانِمُ

وصف هزيمة الروم.

6-وَلَستَ مَلِيكاً هازِماً لِنَظِيرِهِ وَلَكِنَّكَ التَّوحِيدُ لِلشِّركِ هازِمُ
وَلِم لا يَقي الرَّحمنُ حَدَّيكَ ما وَقى وَتَحفَظُهُ هَامَ العِدَى بِكَ دائِمُ

مدح سيف الدولة.

ويُعد هذا النص في بنائه الأساسية والجزئية ممثلاً للتكوين النظامي في علم لغة النص الذي يعني:((خضوعها لنظام مع، أي اعتبارها وحدة من العناصر التي يقوم كل منها بإسهام معين لتحقيق وظيفة المجموع)) (إلهام أبوغزالة،2002، ص9).

المبحث الأول

المعايير النصية والترابط النصي

أولاً: إنتاج النص والسياق الخارجي

يُعد النص موضوع الدراسة من النصوص التراثية المشهورة، وترجع شهرتها إلى صاحب النص(المتنبي) شاعر العربية الأكبر والمناسبة التي قيلت فيها معركة(الحدث)، وقد أدت موهبة الشاعر الفنية في إخراج النص بهذا الشكل المتماسك وحسن الصياغة وجمال الصور التي رسمها لأحداث المعركة بتفاصيلها وحركتها الصاخبة.

تهدف الدراسة إلى التعرف على البناء النصي لواحد من النصوص التراثية المشهورة الذي يُعد نموذجاً للتماسك النصي في العمل الإبداعي، بجانب العناصر الاتصالية الأخرى، وفق مناهج التحليل الحديثة في علم النص اللُّغوي الذي يعتمد على عناصر لغوية وبلاغية وأدبية، فضلاً عن ظروف إنتاج النص وأثرها في بناء النص، أي كشف خواص البنية اللغوية وأنماط الوظائف الاتصالية، وعلاقة البنية بعناصر الاتصال، وقد كان البحث منصباً على البنية النصية متجزئة عن ظروف إنتاجها والعوامل غير اللغوية التي أسهمت فيها، وأثر التفاعل الاتصالي في البنية اللُّغوية، فبحث علم اللغة النصي النص في ضوء ظروف إنتاجه وعلاقته بالسياق الخارجي (د. محمد العبد،2005م،ص184).

أسباب انتاج النص:

من المعلوم أن هنالك دوافع تقف وراء إنتاج أي إبداع أدبي أو غيره، بعض هذه الدوافع استجابة مباشرة لمثير داخلي أو خارجي، وكلاهما من المؤثرات المباشرة في الشاعر. فالمثير الخارجي المعركة التي خاضها سيف الدولة ضد الروم فمثلت له مثيراً خارجياً سجل أحداثها في وصف دقيق لأنه كان شاهداً لها، كما أنها مثلت له مثيراً لمدح أميره وصف سيف الدولة، بدافع الحب له، ولأنه كان يرى نفسه في سيف الدولة، في طموحه ووقوته وهمته العالية وحمايته للدولة الإسلامية، حيث يقول:

يُكَلِّفُ سيفُ الدَّولَةِ الجيشَ هَمَّهُ وَقد عَجَزَتْ عنهُ الجيوشُ الخضارُم

وَيَطلُبُ عندَ النّاسِ ما عندَ نفسِه وَذلكَ مــا لا تَدّعيــهِ الضَّواغِــمُ

كما أن من الدوافع أنه يصور نفسه في مدحه لسيف الدولة، لأن شعره لم يكن إلا صورة صادقة لنفسه، وصدى للقوة التي يؤمن بها والانتصار الذي يحلم به على الأعداء، فكان ديوانه كله صدى لنفسه. فديوانه من أكثر الدواوين ابرازاً لشخصية صاحبه، وقد بلغ به الولع بالتحدث عن نفسه حداً جعله لا ينساها في غزل أو فخر، أو وصف، أو مدح ولو كانت العادة فيه ان يتضأل المادح ليرفع من قدر ممدوحه (حنا الفاخوري، 1947م، ص32).

كما أن من الدوافع التي تلاحظ في النص أنه يعد ممدوحه ممثلاً للإيمان والتوحيد، فكانت هذه المعركة سبباً قوياً لإظهار ذلك حيث يقول له إن هذه المعركة لا تعد معركة بين ملكين وإنما هي أعظم من ذلك؛ لأنها معركة الإيمان والعقيدة، كنت فيها التوحيد أو ممثلاً له، وعدوك فيها رجل الشرك، قائلاً:

ولست مليكا هازما لنظيره ولكنك التوحيد للشرك هازم

كما نلاحظ أن من الدوافع أنه يعد ممدوحه – من فرط إعجابه به – ملهمه الشعر وصانع الأحداث والأفعال التي تدعوه لقول الشعر، ومنها هذه المعركة قائلاً:

لَكَ الحَمدُ في الذِّكرِ الذي لَيَ لَفظُهُ فإنّ كَ مُعطِيهِ وإنّ ِي ناظِمُ

وهذا يؤكد أن أحداث النص تفاعلت مع الواقع، فقد سجل فيها الشاعر الأحداث التي عاشها، ممتزجة بالدوافع الداخلية التي وجدت طريقها للخروج في تماذج تام، رسمت صورة درامية حية، في لغة رصينة مكثفة.

ثانياً: المعايير النصية

1- المعايير الوظيفية(النوعية):

ويقصد بها نوع النص، وهو خطاب شعري أهم ما يميزه الوزن والقافية، وهي السمة التي تميز الشعر عامة والعربي خاصة، والتي نتجت من نظام المقاطع للكلمة العربية حيث قسمت الكلمة العربية إلى مقاطع متناسقة للإيقاع والتطريب، فكان الوزن والقافية متبعاً لهذا النظام.

لقد وضع المتنبي نصه على بحر الطويل وهو ثمانِ تفعيلات(فعولن، مفاعيلن، فعولن، مفاعيلن) وموسيقى هذا البحر تناسب وتتسع للوصف والمدح، كما أنه يناسب المواقف الدرامية الصاخبة التي صاحبت النص، كما أنه اختار لقافيته الميم وهو صوت صامت شفوي متوسط مجهور، ومستعمل في كثير من قوافي الشعر العربي، وقد سبق بصوت مد طويل في ثلاثة وعشرين بيتاً يتسع فيه المخرج فيخرج سهلاً ممتداً فكأنه ايقاع نتج عنه التطريب الإيقاعي، بالإضافة لذلك اتبع القافية الضم في حرف الروي (الميم المضمومة) للوزن، مما يؤدي إلى التطريب الصوتي، كما أنه استخدم التصريع – وهو من المؤثرات اللفظية – في بعض الأبيات وهو المشاكلة بين نهاية الشطرين في اللفظ كما جاء في بداية النص:

على قدر أهل العزم تأتي العزائم وتأتي على قدر الكرام المكارم

فالوزن والقافية مع ما يصاحبهما من مؤثرات صوتية ولفظية تشاركان في فهم المعنى الشعري، كما قال قدامة بن جعفر قديماً:((فالشعر كلام موزون مقفى يدل على معنى، والألفاظ تأتلف بالوزن ويتحقق عن ائتلافها معان يقصدها، ويشترك في القافية مع سائر البيت وأن تدل على معنى فيه ائتلافاً مع دلالته العامة، وهي معيبة إن كانت اللفظة فيها للقافية والوزن فقط، فهي من جملة ألفاظ البيت ولها معنى فيه، فيجب أن يأتلف لفظ القافية مع المعنى ويأتلف مع الوزن أيضاً، فتكون متممة لمعنى البيت ووزنه، وأن توازي ما سبقها من قواف))(قدامة بن جعفر،1976م،ص69 – 70) .

يتضح مما سبق أن الشاعر قد وظف الوزن والقافية للتأثير في المتلقي كما وظف التكرار في بعض الأوزان وبعض الحروف في زيادة الإيقاع مثل تكرار حرف القاف في قوله:

بِ ذَ اهَ ا فأُعْلى وَالقَ ذَ ا يَ قَعُ القَ ذَ ا وَمَوْجُ المَ ذَ ايَ ا حَوْلَها مُتَ لاطِمُ

أو في قوله:

تَقَطّعَ ما لا يَقْطَعُ لُؤْلُؤَ والقَنَا وفرّ من الفُرسانِ مَنْ لا يُصادِم

حيث يتميز صوت القاف الانفجاري بعمق مخرجه وقلقلته ليودي دوراً موثراً في الايقاع يعبر عن حالة الاضطراب والحركة في المشهد الحربي، مما اكسب اللفظة بعداً متناغماً، مع البعد النفسي والدلالي.

2- المعايير السياقية:

وتعني في علم اللغة النصي المؤقف الاتصالي(compunction form)، ويتمثل الموقف الاتصالي في شكل الاتصال ونوعه ووصفه، ففي هذا النص يتمثل نوعه شعري لفظي شفهي، يمثله المتكلم وعلاقته بالمحيط الخارجي والجمهور والمخاطب المباشر(الممدوح) وعلاقته به والغرض من الاتصال.

ومن خلال النص نجد أن الشاعر خاطب الممدوح مباشرة وفي مجلسه وبين جلسائه، وهي عادة معروفة قديما في كل عصور الشعر العربي قديماً، ونلاحظ أن النص فيه أجزاء أعدت مسبقاً وذلك في أثناء الاستعداد، وهي المقدمة التي صاغها في صورة الحكمة التي تتمثل في قوة العزيمة والهمة العالية التي تحقق الإنجازات الكبيرة التي يتحلى بها ممدوحه هي قوله:

عَلى قَدْرِ أَهْلِ الْعَزْمِ تأتي الْعَزائِمُ وَتأتي علَى قَدْرِ الكِرامِ المَكارُم

وَتَعْظُمُ في عَينِ الصّغيرِ صغارُها وَتَصْغُرُ في عَين العَظيمِ العَظائِم

يُكَلِّفُ سيفُ الدّولَةِ الجيشَ هَمّهُ وَقد عَجزَتْ عنهُ الجيوشُ الخضارُم

وَيَطْلُبُ عندَ النّاسِ ما عندَ نفسه وَذلكَ ما لا تَدّعيهِ الضّوَاغِم

كما نجد أن أجزاء من النص وهي الأبيات في وصف جيش الروم من(9 – 19) كانت آنية متأثراً بما شاهده من جيش الروم. بينما جاءت الابيات في وصف المعركة من(17– 32) استجابة مباشرة للموقف الذي رآه وهو شاهد عيان للمعركة، أما الجزء الأخير من النص وهو مدح سيف الدولة والذي تمثله الأبيات من(39– 46) فهو استجابة مباشرة لما رآه من الانتصار الباهر في المعركة، بالإضافة إلى إعجابه المسبق بممدوحه، لأنه يمثل له التوحيد، ويجد فيه نفسه، أو المعادل الموضوعي للشاعر .

3- المعايير البنائية:

ويقصد بها البناء الشكلي الذي يكون موضوع النص وقد بدأ نصه ببيتين من الحكمة يمجد فيهما ذوي الطموح والعزيمة والإرادة، وينسبها إلى ممدوحه في البيتين الثالث والرابع وهو في هذا يشبع رغبة في ذاته ثم تناول بعد ذلك وصف قلعة الحدث وما تعرضت له على أيدي الروم، وما وجدته من عناية من سيف الدولة، ثم انتقل إلى وصف جيش الروم في زحفه، ثم تحدث عن المعركة وصورها تصويراً واقعياً، استمده من واقع حضوره لها، وشجاعة سيف الدولة، وحسن تخطيطه للمعركة، وانتهى إلى الحديث عن قائد جيش العدو الذي لاذ بالفرار.

وقد حرص الشاعر على الترتيب المنطقي للبناء الشكلي لموضوع النص، لذا جاءت الأفكار منسقة، والمعاني دقيقة عميقة، كما حرص على التناسب بين أبيات النص ووحدة البيت الشعري وتمام معناه، ويمكن أن يمثل له بهذا البيت وبما له من طرافة المعنى قوله:

بضَرْبٍ أتَى الهاماتِ والذّصرُ غائبٌ وَصَارَ إلى اللّبّاتِ والذّصرُ قَادِمُ

مما زاد ذلك التسلسل في ترتيب الموضوعات حسب زمن وقوعها والذي أدى إلى وحدتها وتنظيمها في وحده موضوعية لأنه أجاد حسن التخلص والربط بين الموضوعات عامة، مما أدى إلى التماسك اللفظي.

4- زمان ومكان النص:

الزمن جزء من بنية النص في علم اللُّغة النصي وعنصر أساس في تفسيره، فالنص جزء من زمن إنتاجه، وهو زمن تأليفه وقوله. يشترك في ذلك زمن الأفعال والأسماء الدالة على الزمن في النص، وقد عبَّر الشاعر أولاً عن الأحداث الماضية بالفعل الماضي أحياناً، نحو قوله:(قدر، عجزت، ضربها، سقتها، وكان، وقفت، حقرت،...)، كما أنه أكثر من وصف الأحداث الماضية بالمضارع حكياً، نحو قوله:(تجمع، تجاوزت، تعظم، أتوك، تقطع،...) فتغير مدلولها وعبرت عن الحركة والتفاعل والاستمرارية داخل النص، كما دلّت على الخطاب المباشر لزمن الأداء، كما أن الشاعر استخدم بعض الألفاظ تحمل دلالة زمنية مثل قوله:

إذا بَرَقُوا لم تُعْرِفِ البِيضُ منهمُ ثِيابُهمُ من مِثْلِها والعَمائمُ

إذا زَلِقَتْ مَشْيَتَها بِوُطْئِها كما تَتَمَشّى في الصّعيدِ الأراقِمُ

فإذا في البيتين ظرفية زمانية تعني وقت سطوع الشمس في البيت الأول، وفي الثاني تعني وقت تعب هذه الخيول ووقوعها الأرض، كما أن كلمة (اليوم) تدل على الزمن في قوله:

أفي كُلّ يَوْمٍ ذا الدُّسْتُقُ مُقدِّمٌ قَفَاهُ على الإقْدامِ للوَجْهِ لائمُ

فهنا أراد بكلمة يوم الزمن في هجائه له بكثرة الهرب وتعوده عليه قائلاً:

طَرِيدَةُ دَهْرٍ ساقَها فَرَدَتْهَا على البَيْنِ بالخَطّيِّ والدّهْرُ رَاغِمُ

فهنا استخدم الدهر مرتين بمعنى أحداث الزمن الممتد، كما دلّت الألفاظ التي عبَّرت عن الزمن أن أحداث المعركة الحربية في فصل الصيف الشديد الحر ويتجلى ذلك في قوله:

فَلَلّهِ وَقْتٌ ذُوَيْبَ الغَثَّ ذَاهُ فَلَمْ يَبْقَ إلاّ صَارِمٌ أوْ ضُبارِمُ

كل تلك إشارات على الزمن تحيل إلى أن أحداث النص بعضها زمنية سابقة ماضية، وبعضها إشارات مباشرة في زمن الأداء.

أما مكان النص فيقصد به المواقع التي تعلقت بها أحداث النص، فأحال عليها وعبَّر عنها وصورها، فالنص المعني هنا أشار إلى (الحدث الحمراء) الموقع الرئيس للمعركة موضوع النص قائلاً:

هِيَ الحَدَثُ الحَمراءُ تَعرِفُ لَونَها وَتَعْلَمُ أيُّ اللّقْيَتَيْنِ الغَمائمُ

كما جاء في النص أن المعركة الحربية كانت فوق مرتفع وامتدت إلي أعلاه قائلا:

ذَرَتْهُمْ فَوْقَ الأُحَيْبِ كُلّهِ كما ذُرَّتْ فَوْقَ العُوسِ النّواهُمُ

تدوسُ بكَ الخيلُ الوكورَ على الثَّرَى وَقد كثُرَتْ حَوْلَ الوُكورِ المَطاعِمُ

كما عبَّر عن شجاعة ممدوحه بمكان وقوفه في ساحة المعركة قائلاً:

وَقَفْتَ وما في المَوْتِ شكٌّ لِواقِفٍ كأنّكَ في جَفنِ الرّدَى وهْوَ نائمُ

نلخص من ذلك أن الشاعر وظّف عنصري الزمان والمكان وعناصر البيئة الأخرى من صيف شديد الحر ومرتفعات،

وتفاعلت تفاعلا مباشرا لرسم صورة كاملة للمعركة اسهمت في بناء القصيدة.

5- الربط النصي:

ويقصد به الرابط المعنوي بين أجزاء النص، والنصوص الشعرية التراثية تتكون عادة – كما هو معلوم– من وحدات موضوعية فرعية يربط كل واحد منها موضوع واحد، ثم ينتقل الشاعر إلى موضوع آخر بسبب من هو مترتب عليه، واشترط القدماء أن يكون المطلع مرتبطاً بمحتوى النص، مناسباً للمقام ومؤشراً على موضوع القصيدة.

وقد استهل المتنبي نصه بمقدمة من بيتين ضمنهما حكمته وفلسفته في أن الأمور تأتي على قدر فاعليها، وتقاس بمقدار همم أصحابها وعزيمتهم، وعلى قدر ما يتمتعون به من كرم النفس تكون الأفعال الكريمة، قائلاً:

عَلى قَدْرِ أَهْلِ الْعَزْمِ تأتي الْعَزائِمُ وَتأتي علَى قَدْرِ الكِرامِ الْمَكارِمُ

وَتَعْظُمُ في عَينِ الصَّغيرِ صغارُها وَتَصْغُرُ في عَينِ الْعَظيمِ الْعَظائِمُ

ثم أحسن الشاعر حين ربط حكمته تلك بممدوحه فاسقط هذه الصفات عليه بأنه من هذا الصنف العظيم الذي يتمتع بالإرادة والعزيمة، لذلك يحمل جيشه على تحقيق ما تصبو إليه همته العالية وعزيمته القوية قائلاً:

يُكَلِّفُ سيفُ الدَّولَةِ الجيشَ هَمَّهُ وَقد عَجَزَتْ عنهُ الجيوشُ الخضارُم

وَيَطْلُبُ عندَ النَّاسِ ما عندَ نفسِه وذلكَ ما لا تَدَّعيهِ الضَّراغِمُ

فالخضاوم: يعني كثرة العدد، والضراغم: جمع ضرغام وهو الأسد.

ونرى أن المقدمة التي تكونت من أربعة أبيات كانت في مضمونها تدور في أن الأفعال العظيمة لا تتأتى إلا لأصحاب العزيمة والإرادة القوية، والممدوح منهم، فهي إذا تناسب المضمون العام للنص الذي يدور حول الانتصار المؤزر في المعارك، ثم انتقل الشاعر في أبيات إلى الحديث عن جيش الروم في قوته وعدده وعتاده الحربي بدأها في تصوير فني كنائي من قوله:

أتَوْكَ يَجُرُّونَ الحَدِيدَ كَأَنَّهُم سَرَوْا بِجِيَادٍ ما لَهُنَّ قَوَائِمُ

ولكن رغم كثرة هذا الجيش وقوته لم يثبت في المعركة أمام جيش سيف الدولة حيث فر منه من لا قدرة له على المواجهة، بعد ذلك انتقل الشاعر في أبيات إلى مدح سيف الدولة بوصف صلابته وقوته ووقوفه في وسط المعركة، وكيف أن النصر تحقق سريعاً بعد أن حمل عليهم بالسيوف وهو سلاح المواجهة، قائلاً:

وَقَفْتَ وما في الْمَوتِ شَكٌّ لَواقِفٍ كأَنَّكَ في جَفنِ الرَّدَى وهْوَ نائِمُ

إذا زَلِقَتْ مَشْيَتَها بِطُونِها كَما تَتَمَشَّى في الصَّعيدِ الأَراقِمُ

الأراقم: هنا تعني الزواحف من الثعابين.

وفي ختام النص يصف الشاعر حال قائد جيش الروم وفراره، الذي يعتبره فوزاً له لأنه نجا بنفسه من المعركة.

وأخيراً يختم النص بقوله لسيف الدولة إن هذه المعركة بين الإسلام والشرك وقد مثلت فيها التوحيد.

نلاحظ أن الترابط النصي تمثل في الربط المعنوي بين أجزاء النص، وحسن التخلص والانتقال من موضوع لآخر، وهو ما يعرف بالسياق أو توالي الأحداث بصورة موضوعية تودي في النهاية إلى الوحدة العضوية في النص أو كما قال تمام حسان:((المقصود بالسياق (التوالي)) ،ومن ثم ينظر إليه من ناحيتين، أولاهما توالي العناصر التي يتحقق بها التركيب والسبك والسياق من هذه الزاوية يسمى سياق النص، والثانية توالي الأحداث التي صاحبت الأداء اللغوي وكانت ذات علاقة بالاتصال ومن هذه الناحية يسمى السياق (سياق الموقف) (تمام حسان، 2007م، ص375).

المبحث الثاني

الربط النحوي(التركيبي)

ويقصد به ترابط الجمل الذي يتجاوز معنى الجملة المفردة إلى بحث العلاقات بين الجمل ومعانيها التي تتحقق من ترابطها في سياق متصل، أي بحث أوجه العلاقات الدلالية بينها، وهو ما يعرف بنحو النص أو علم دلالة النص(ومعنى الكلمات المفردة مختلف عن معناها النصي فمعناها النصي أعم من معناها لمعجمي المحدود، فالمعنى النصي معنى سياق، فيه تتداخل العلاقات بين الكلمات وتتشابك، فالنص يضيف للمعاني المعجمية معان نصية جديدة، فعلم دلالة النص يعتمد على ترابط الجملة وتشابكها الدلالي وموضوعية النص على اسس التركيب العميق للنص) (د. محمود جاد الرب1991م،ص45).

كما نجد أن نحو النص عند الأقدمين يعني:(العلاقة بين عناصر الجملة الواحدة، وعلاقة الجملة بالمعنى ثم بحثوا علاقة الجملة بالسياق اللُغوي، وذلك من خلال أدوات الربط اللغوي والربط السياقي المضموني، والمعنى العام الذي يربط بين جمل النص، وقد جعلوا الجملة القاعدة التي ينطلقون منها إلى دراسة النص،) (زتسيلاف واو زنياك،2004م،ص99).

فالجملة المفردة تتماسك على مستوى الدلالة أي معاني ألفاظها، وعلى مستوى النحو بترتيب ألفاظ بمقتضى وظائفها النحوية، ومن ترتيب الجملة بحسب وظائفها النحوية أن تأتي الأفعال في زمن واحد لمعنى واحد، ولكن قد يخرج الفعل الماضي عن الأصل فيحكي الحال الماضية في المضارع استحضاراً على المضارع حكاية عن الماضي، وقد جاء من ذلك كثير من الأمثلة في أبيات النص مثل قول الشاعر:

أتَوْكَ يَجُرُّونَ الحَدِيدَ كَأَنَّهُم سَرَوْا بِجِيَادٍ ما لَهُنَّ قَوَائِمُ

وقوله:

تَجَمَّعَ فيهِ كلُّ لِسْنٍ وَأُمَّةٍ فَما يُفْهِمُ الُحَّاثَ إلاّ التَرَاجِمُ

ففي البيتين السابقين عبر بالمضارع(أتوك) وفي البيت الثاني (تجمع) حكياً على الحالة الماضية، وقد وردت في النص أمثلة أخرى مثل (تقطع، تظن، تجاوزت، يكلف، وغيرها).

كما ورد من أشكال الترابط النحوي المخالفة بين الأزمنة في الجملة الواحدة والتي تجوز بغرض مقيد بها ليكون دليلا على المراد منها مثل التحقق والحدوث في الفعل الماضي، كما جاء في قول الشاعر:

يُكَلِّفُ سيفُ الدَّولَةِ الجيشَ هَمَّهُ وَقد عَجِزَتْ عنهُ الجيوشُ الخضارُمُ

فعبر في بداية البيت بالمضارع(يكلف) للحكي وفي عجز البيت، قال:(عجزت) في الماضي لتحقيق العجز وثبوته يدل على ذلك عدم قدرة الجيوش للوصول لهمة الممدوح.

ويظهر الترابط النحوي في التعبير بالجملة الاسمية لدلالتها على الحقيقة مجردة دون زمانها وذلك لأن المبتدأ اسم يفيد الثبوت دون التجدد، والخبر كذلك إن كان اسماً ،ولكن الشاعر أُخبر بالفعل لأنه يفيد التجدد والاستمرار وقد جاء من ذلك في قول الشاعر:

خميسٌ بشْرقِ الأرْضِ وَالغرْبِ زَحْفُهُ وَفي أُذُنِ الْجَوْزَاءِ منهُ زَمَازِمُ

فقد اخبر عن المبتدأ (خميس) بالمصدر(زحفه) المضاف للضمير لدلالته على عملية تجدد الزحف لكثرته مما يقوي المعنى الدلالي للخبر.

كما قول الشاعر:

تَجَمّعَ فيه كلُّ لِسْنٍ وَأُمّةٍ فَما يُفْهِمُ الْحُدّاثَ إلاّ التَراجُمُ

حيث أخبر عن هذا الجيش بالفعل (تجمع) الذي يدل على التجدد والكثرة، كما إنه خبر المبتدأ المذكور سابقا والخبر بالضمير وهو رباط إسنادي معنوي ولفظي، أقوى من الرباط الحرفي،كما يتمثل الربط النحوي في حذف المبتدأ اكتفاءبخبره في المواقف المعروفة لدى المتلقي وخاصة في مقام الوصف، مما يجعله أكثر تعلقا به، وهذا ما أكدته نظرية النظم عند عبدالقاهر الجرجاني. جاء ذلك في قول الشاعر:

سَقَتْها الغَمَامُ الغُرُّ قَبْلَ نُزُولِهِ فَلَمّا نَدَا منها سَقَتها الجَماجِمُ

بَنَاهَا فأعْلى وَالقَنَا يَقْرَعُ القَنَا وَمَوْجُ المَنَايَا حَوْلَهَا مُتَلاطِمُ

فنجد الشاعر في البيتين حذف المبتدأ(الحدث) لتقدم ذكره، ولأنه معلوم للمتلقي وأخبر عنها بأوصاف تخصها مثلت ثلاثة أخبار، وهي سقيى الغمام لها قبل مجيء الممدوح، وسقية دماء الاعداء عند وقوع المعركة، وانه من قبل بناها بالقوة والانتصار، وقد عدد الاخبار لإفادة معاني عديدة في المبتدأ، ومتصلة في المعنى ف ومتعددة في اللفظ لتأكيد الوصف وشموله، واعتمدت على الربط السياقي للجمل مما ميز البناء التركيبي للنص في طبيعته الوصفية، والذي كثرت فيه الجمل الاسمية التي توضع أصلاً للأخبار عن ثبوت المسند(الخبر) للمسند إليه(المبتدأ) لدلالته على معنى الثبات والاستقرار والتأكيد الذي يتطلبه الوصف والمدح موضوع النص.

كما يتمثل الربط النصي في استخدام الجملة الفعلية لدلالتها على الحقيقة، أو الحدث وزمانه ماضيا أو حاضراً أو مستقبلاً،ويدل على الحدوث والتجدد دائما، وقد أكثر الشاعر في استخدام الأفعال بأزمانها المختلفة، حيث بدأ عدد(أربعة وعشرون) بيتا من النص بأفعال مختلفة الازمان، مثلت زمن السرد(الحكي) وهو زمن الحدث، وقد وظفها الشاعر للتعبير عن الشعور والوصف والحركة، فمثلا جسدت الحدث الماضي باستحضاره لزمن الحكي مثل قوله:

وَيَطْلُبُ عندَ النّاسِ ما عندَ نفسه وَذلكَ ما لا تَدّعيه الضّوَاغِمُ

يُفَدّي أتَمُّ الطّيرِ عُمْراً سِلاحَهُ نُسُورُ الفَلا أحداثُها وَالقَشاعِمُ

القشاعم: تعني الطيور الجارحة الكبيرة.

ففي البيتين ربط الشاعر بين الأحداث بواسطة الأفعال (يطلب، ويفدي) لزمانها الممتد للاستقبال مما قوى المدح وربطه بالعالم الخارجي بواسطة الحكي والإحالة، وقد ساعدته الجمل الفعلية في التعبير عما يريده لأنها أكثر تماسكا وتفاعلا مع الحدث، والترابط فيها يكون على مستوى البنية الدلالة، فالجملة الفعلية مترابطة على مستوى البنية في إسناد الفعل إلى الفاعل المذكر والمؤنث، فعلامة التأنيث دليل على تأنيث الفاعل وأن الفعل خاص به، كما جاء في قوله:

تَظُنُّ الفُتْخُ أنّكَ زُرْتَهَا بأُملاتِها وَهْيَ العِتاقُ الصّلادِمُ

العتاق، والصلادم: تعني القوة الكاسرة

أما الربط الدلالي تمثل في العلاقة بين الفعل والفاعل كإسناد الفعل إلى الفاعل حقيقة مثال ذلك قوله:

يُكَلِّفُ سيفُ الدّولَةِ الجيشَ هَمَّهُ وَقد عَجِزَتْ عنهُ الجيوشُ الخضارِمُ

وَقَفْتَ وما في الموتِ شكٌّ لواقِفٍ كأنّكَ في جَفنِ الرّدى وهْوَ نائِمُ

تُمَرِّ بكَ الأبطالُ كَلْمى هَزيمَةً وَوَجْهُكَ وَضّاحٌ وَثَغْرُكَ باسِمُ

في الأبيات السابقة أسند الأفعال إلى فاعلها الحقيقي،(سيف الدولة) في البيت الأول الاسم الظاهر، وفي الثاني والثالث بالضمير.

كما تمثل الربط النحوي في إسناد الفعل إلى فاعل لا يصح عنه حقيقة فهو فاعل مجازي مثل قول الشاعر :

سقتها الغمام الغر قبل نزوله فلما دنا منها سقتها الجماجم

ففي شطر البيت أسند السقيا للغمام الغر فاعل حقيقي، وفي عجز البيت أسند السقية (للجماجم الاعداء) على سبيل المجاز العقلي، وهذا جائز في الاسلوب الفني الذي يتطلبه الموقف الشعري، لذا نجد أن الشاعر أكثر من استخدام الجمل الفعلية لاتساعها في الاستخدام للمعاني الحقيقية والمجازية والتي تناسب الوصف والمدح.

كما أن من أنواع عناصر الربط النحوي استخدام الشاعر الجملة الشرطية المركبة التي تتكون من جملتين يربط بينها حرف الشرط، وعلاقتهما كعلاقة الإسناد في الجملة الفعلية حيث لا يتم المعنى إلا بهما معا لما بينهما من الترابط التام لعدم جواز قطع الثانية عن الأولى، وجاء قول الشاعر بالجملة الشرطية في الآتي:

إذا كانَ ما تَنْوِيهِ فِعْلاً مُضارِعاً مَضَى قبلَ أنْ تُلقى عليهِ الجَوازِمُ

إذا بَرَقُوا لم تُعْرَفِ البِيضُ منهمُ ثيابُهمُ من مِثْلِها والعَمائِمُ

إذا زَلِقَتْ مَشْيَتَها ببُطونِها كَما تَتَمَشّى في الصَّعيدِ الأراقِمُ

فقد استخدم الشاعر في الابيات السابقة (إذا) الشرطية وهي ظرف منصوب المحل يفيد الاستقبال، وجاءت جمل الشرط فيها جميعا في الماضي لتحقق وقوعها مستقبلا، فاستخدام الشاعر لهذا النوع من الجمل الشرطية لأنها أكثر تماسكاً وتلازماً ،لأن الربط فيها لفظي ومعنوي، لأن الجملة الثانية بسبب من الأولى.

مما سبق يتضح أن النص تماسكت جمله الشعرية وأبرز عناصر هذا التماسك استخدام الضمائر التي وظفها في موضعها، لأنها أغنت عن إعادة الاسم الذي تدل عليه، خاصة في بداية الابيات مثل:(تعظم، يكلف، تصغر، .....) ساعده على ذلك ترتيبه للأحداث وتتسلسلها وتطورها في النص.

وهذه الضمائر بمختلف أنواعها تحقق الترابط بين الجملة وما جاورها من جمل أخرى، بالإضافة إلى أنها تحيل إلى العالم الخارجي لتعين الذات التي تشير إليها فهي:(تعد أساسا في الربط النصي، فهي تربط اللاحق بالسابق، والضمير يدفع اللبس في الكلام واختلاطه بغيره، وتحقق نوعا من الاختصار لعدم الحاجة إلى تكرار اللفظ، فيغني الضمير دون استحضاره ثانية) (تمام حسان، 1998م ص18).

كما أن الشاعر اعتمد على الجمل القصيرة المباشرة والمعاني الواضحة، ساعده على ذلك ترتيب الأحداث وتسلسلها وتطورها وان كل جملة فيها تؤدي إلى ما بعدها، وتتعلق بما قبلها، كما إن الشاعر وظّف الحذف في الربط بين الجمل مثل حذف المبتدأ، في قوله:

خميسٌ بشْرقِ الأَرضِ وَالغْربِ زَحْفُهُ وَفي أُذُنِ الْجَوْزَاءِ منه زَمَازِمُ

كما أن بعض تراكيبه مكثفة المعنى لتعدد الوصف وتقويته بذكر الأدلة، وذلك في قوله:

وَمَنْ طَلَبَ الفَتْحَ الجَليلَ فإنّما مَفاتِيحُهُ البِيضُ الخِفافُ الصَّوارِمُ

كما أن استخدامه وزناً طويلاً وهو بحر الطويل ساعده على استيفاء المعنى وتمامه، وبذلك تحققت وحدة البيت الشعري وتماسكه، وربط الشاعر بين الجمل والعالم الخارجي بالخطاب المباشر للممدوح في مثل:(أتوك، وقفت، ولست مليكا، لك الحمد، حقرت الردينيات، تمر بك، وغيرها) بالربط المعنوي:

يعنى بالترابط المعنوي بين الجمل، إلتئام المعنى واتصاله وارتباط بعضه ببعض، ويقصد (الحبك) كلمة انجليزية ويراد به تماسك المعنى وائتلافه بواسطة علاقات ترابطية بين وحداته المعجمية، وقد استخدم الشاعر جمل جيدة التركيب متماسكة المعنى لتمكنه من ناصية اللغة، ولأنه أعد جزء من نصه مسبقاً، بالإضافة إلى أنه قدمه إلى مجتمع حضري وهو مجلس الأمير سيف الدولة، فاستخدم جملاً قصيرة مباشرة غزيرة الدلالة مثل قوله:(وقد حاكموها والمنايا حواكم)، قوله:(طريدة دهر ساقها فرددتها) لأن الربط المعنوي ناتج من البنى الدلالية وقدرتها على توظيف الأصوات والمفردات لخدمة المعنى، تمثل ذلك في التقابل في المعنى بين العزيمة والإرادة عند الممدوح من جهة وبين خوف الأعداء وفرارهم، من جهة اخرى، ففي البيت الاول والثاني صور العزيمة والإرادة بواسطة التقابل الذي اثرى الجانب الدلالي حيث استعمل كلمات (العزم، والعزائم، الكرام، المكارم، تعظم، العظيم، العظائم) والتي مثلتها سبع كلمات، مقابل كلمتين(الصغير والصغائر) بالإضافة لذلك استخدامه لصيغ المفرد والجمع في التقابل، مما أكد الربط المعنوي، وتمثل الربط المعنوي في النص في أن الشاعر وجه خطابه مباشرة للممدوح سيف الدولة باسمه أو بالضمير في (28) بيتاً، من أصل (46) بيتاً، وما تبقى من أبيات موزعة بين وصف جيش الأعداء(7) أبيات ووصف القلعة كان المعركة(4) أبيات وما هو مشترك بين سيف الدولة والقلعة(3) أبيات فضلاً عن الاستهلال بالحكمة (4) ابيات.

ومن وسائل الربط المعنوي توظيفه للتقديم والتأخير، حيث قدّم حرف الجر (على) في البيت الأول على الجملة الفعلية (تأتي العزائم) وفي عجز البيت عمل على تأخير الفاعل (وتأتي على قدر الكرام المكارم) حيث بدأ بالفعل مما زاد من الربط المعنوي في البيت الشعري، كما أن استخدامه لحرف الجر (على) لدلالته على العلو والرفعة والهيمنة، ثم حرف (القاف) في كلمة (قدر) يرمز الى القوة والصلابة مما جعلهما مناسبين للمعنى

الذي أراده ويحقق الانسجام إذا إن الكلمات كما قال ابن رشيق قديما:(تستقي دلالتها من السياق الذي ترد فيه وعن طريق مجاورتها) (ابن رشيق القيرواني، 72،ص32).

كما أن استخدامه لبحر الطويل بتفعيلاته الثمان أتاح له قدراً كافياً من المعاني في البيت الشعري الواحد، مما مكنه من تكثيف المعنى وزيادة الوصف، مما جاء في وصفه للمعركة، فأتى بألفاظ تحمل معنى التهويل والتعظيم لتدل على شدة المعركة الحربية، مثال ذلك كلمات(الخضارم، الضراغم، اسيافه، مخالب، قوائم، الجماجم، القتلى، متلاطم ...)

كما أن الربط المعنوي تمثل حين اراد أن يعبر عن كثرة القتلى في صفوف الاعداء، حيث جاء في قوله:

يُفَدّي أَتَمُّ الطّيرِ عُمْواً سِلاحَهُ ذُكُورُ الفَلا أحداثُها وَالقَشاعُم

وَما ضَرّها خَلْقٌ بِغَيرِ مَخالِبٍ وَقَدْ خُلِقَتْ أسيافُهُ وَالقَوائِم

حيث قال أن النسور صغيرها وكبيرها تجد ما يكفيها من الطعام، وأضاف أمر افتراضي عبر عن خيال واسع في أن هذه الطيور لو خلقت من غير مخالب لوجدت ما يكفيها من طعام من جثث القتلى، وقد تتبع هذا المعنى في وصفه (للحدث) موقع المعركة في الأبيات (7– 12) في عدم قدرة الرائي لها التميز بين ألوانها المكتسبة من الامطار، أو من كثرة دماء الأعداء، كما وصف حركة المقاتلين في المعركة بالسرعة في الطعن والضرب(القنا يقرع القنا) فزاوج بين اصوات هذه الحروف والمعنى الذي أراده، ويمثل التوظيف الصوتي للألفاظ المكررة بهيئة نطقها إحدى وسائل تقوية المعنى الدلالي الذي عبرت عنه، وأضاف ووصفهم بأفعال مضارعة للدلالة على حركة الحدث وتجدده داخل المعركة، لينقل الجو الصاخب للمعركة فاستخدم أكثر من عشرة أفعال مضارعة منها (يطلب، يفدى، يقرع، تفيت، يأخذن، تلقى، ترجي...)

وقد شكّلت الألفاظ التي ختمت أبيات النص في معظمها جمعاً منه صيغة منتهى الجموع وجمع التكسير مثل(الضراغم، الاراقم، الصوارم العظائم...) لتدل على الكثر ة والمبالغة وعظمة المعاني أو جاءت على وزن فاعل، مثل:(ظالم، راغم، نائم، قادم، شاتم، هازم) لتناسبه مع الميزان الصرفي،، فتكرار الصيغ المتشابه في الجموع والمشتقات الأخرى اضفى معاني دلالية عكست كثافة وقوة الشعور للمعنى المعبر عنه، وكما هو معلوم أن أبنية الالفاظ لها علاقة بالمعنى فزيادته تدل على زيادة المعنى.

كما أن من وسائل الربط المعنوي استخدام الشاعر للصور الفنية في النص بكثرة، فمن المعلوم أن الصور الفنية بمختلف مسمياتها من الأدوات التي يجسد بها المبدع المعنى ويقر به إلى الذهن، فهي أبلغ من المعنى الحقيقي، وأعمق أثراً في المتلقي، ولأنها أسرع إلى الفهم وأبلغ في التأثير، لثباتها في الذهن، والأداء الأقوى لاتصال المعنى وترابطه، كما قال الجرجاني:((ولا شك أن تصوير المعاني أبلغ من الإتيان بها على حقيقتها وتوظيفها في توضيح المعان أبلغ من أن تجري المعاني على الظاهر دون أن يتنبه المتلقي إلى المعنى البعيد أو ينصرف عن التلقي)) (عبد القاهر الجرجاني، 2000م، ص 70، 73).

وقد استخدم الشاعر الصور الفنية في صورها المتعددة، فأكثر من صور التشبيه كما جاء في قوله:

وَكانَ بِها مِثْلُ الجُنونِ فأصْبَحَتْ وَمِنْ جُثَثِ القَتْلى عَلَيْها تَمائِمُ

فهنا شبه حالة (قلعة الحدث) التي كانت في إضراب وفتنة بسبب غارات الروم، أصبحت الآن هادئة وساكنة، حيث علّق سيف الدولة على حوائطها جثث القتلى، كما تعلق التمائم على المصابين بالمس والجنون، كما جاء لتقوية المعنى وربطه صورة التشبيه والكناية في قوله:

ضَمّتْ جَناحَيهِم على القلبِ ضَمّةً تَموتُ الخَوافي تحتَها وَالقَوادِمُ فهنا يظهر التشبيه التمثيل حيث شبه وطأة وقوة الهجوم وسرعته على الأعداء حتي هلكوا جميعاً، بحركة النسر الكبير الذي يضم جناحيه حتى تموت تحتها صغار الطيور وكبيرها، كما أنه يمثل كناية عن قوة وشدة هذه الضمة

كما جاء من صور التشبيه التمثيلي الجميلة التي وضحت المعنى ورسخته في ذهن المتلقي، قوله:

ذَرَتْهُم فَوْقَ الأُحَيْحِبِ كُلِّهِ كَما ذَرَتْ فَوْقَ العُروسِ الدَّراهُم

ومن الصور الفنية جاءت الاستعارة في قول الشاعر:

بِذَاها فأَعْلى وَالقَذَا يَقَعُ القَذَا وَمَوْجُ المَنَايَا حَوْلَهَا مُتَلاطِمُ

فهنا شبه كثرة القتل بالمياه الكثيرة الأمواج، وحذف الماء وجاء بشيء من لوازمه هو الموج، على سبيل الاستعارة المكنية.

وقوله"

خميسٌ بشرْقِ الأَرضِ وَالغربِ زَحْفُهُ وَفي أُذُنِ الجَوزَاءِ منهُ زَمازِمُ

وقوله:

وَقَفْتَ وما في المَوتِ شكٌّ لَواقِفٍ كأَنّكَ في جَفنِ الرَّدَى وهْوَ نائِمُ

وقوله:

حَقَرْتَ الرَّدَيَاتِ حتى طَرَحتَها وَحتى كأَنّ السّيفَ للرّمحِ شاتِمُ

فكانت الصور الاستعارية في موج المنايا إذن الجوزاء وفي جفن الردى وفي السيف للرمح شاتم هذه الصور الاستعارية أدت الى ربط المعنى وتأكيده في ذهن المتلقي.

كما جاء في النص الاساليب الكنائية التي لا يراد بها ظاهر معناها والتي تتميز بقصر العبارة واتساع معناها وبلاغته لتقوية المعنى وتثبيته في الذهن في مثل قوله:

أَتَوْكَ يَجُرّونَ الحَديدَ كَأَنَّهُم سَرَوْا بِجِيَادٍ ما لَهُنَّ قَوَائِمُ

ففي يجرون الحديد كناية عن قوة العدة والعتاد الحربي.

وقوله:

خميسٌ بشرْقِ الأَرضِ وَالغربِ زَحْفُهُ وَفي أُذُنِ الجَوزَاءِ منهُ زَمازِمُ

وبشرق الارض والغرب زحفه كناية عن كثرة الجيش.

كما أن من الصور الفنية التشخيص مثل تشخيصه للرمح والسيف حتى دار بينهما حوار ان السيف يشتم الرمح وان الرمح صار حقيرا لعدم استعماله في المعركة جاء ذلك في قول الشاعر:

حَقَرْتَ الرَّدَيَاتِ حتى طَرَحتَها وَحتى كأَنّ السّيفَ للرّمحِ شاتِمُ

كل هذه الصور الفنية وغيرها جعلت النص يتميز بالموسيقى الداخلية للنص، فضلاً عن الموسيقى الخارجية. فالموسيقى الداخلية للنص كما يقولون إحساس تختلف كميته ونوعه من جهة استنباطها من تآلف الأصوات الموسيقية المنسجمة لتعبر عما يجول في النفس والقادرة على خلق مواقف نفسية معينة في النص، كما أنها تأتي من تركيب وتأليف الصورة الشعرية، وتركيب نوعية الحروف في الكلمة، بحيث تتضح فيها المهارة والدراية لدى المبدع، والتفريق بين أنواع الحروف الصائتة والصامتة.

كما أن الموسيقى الداخلية تعتمد على الصوت اللُّغوي وتناسب علاقاته مع معانيه من جهة طرقه للمعاني المختلفة، أو من خلال استغلال التكرار اللفظي او الاشتقاقي أو الصرفي أو الصوتي. كل ذلك تمثل في نص المتنبي موضوع الدراسة. لذلك أضفت على كلماته حياة فوق حياتها، وتمثلت معانيها أمام أعيننا تمثيلاً عملياً وواقعياً كما قال إبراهيم أنيس:((أن موسيقى الشعر أنها تزيد من انتباهنا وتضفي على الكلمات حياة فوق حياتها، وتجعلنا نحس بمعانيه، كأنما تمثل أمام أعيننا تمثيلاً عملياً واقعياً.. وأنها تهب الكلام مظهراً من مظاهر العظمة والجلال وتجعله مصقولاً مهذباً تصل معانيه إلى القلب بمجرد سماعه)) (إبراهيم أنيس، 1952م، ص14).

الخاتمة:

وبعد كانت هذه الدراسة محاولة لقراءة نص شعري تراثي شهير يمثل نموذجاً للوصف والمدح للشاعر المتنبي، على ضوء علم اللغة النصي، لنثبت من خلاله أن النصوص التراثية يمكن معالجتها على ضوء علم اللغة النصي الذي هو متأصل في الدراسات اللغوية التراثية العربية إلا أنه موزع بين فروعها المتعددة، وفق مسميات مختلفة.

وقد خلصت الدراسة إلى عدة نتائج أهمها:

1_ أن بنية النص الشكلية جاءت وفق وحدات معنوية متصلة بدءاً بالمقدمة التي كانت مدخلا ملائماً للحديث عن الموضوع الاساس للنص، فضلاً عن ربطها بالواو.

2– أن الشاعر وظف القافية بجانب الايقاع الصوتي والوزن في زيادة المعنى، وجعلها فواصل لمعانيه الجزئية التي امتدت على طول النص.

3– أن الربط النصي تمثل في اللفظ والمعنى بأدوات الربط المختلفة الدلالية والنحوية، في اطار الموضوع العام وعلاقة النص بعالمه الخارجي وارتباطه به وتفسيره.

4– لقد أفاد علم اللغة النصي من نظرية النظم لبعد القاهر الجرجاني الذي جعل النظم يوفي معاني النحو فيما بين اللغة.

5– أكثر الشاعر من استخدام الجمل الفعلية لأنها أقوى تماسكا على مستوى البنية، كما جاءت اخباراً للجمل الاسمية، وذلك لإفادة معاني عديدة في المبتدأ لتلائم اغراض النص في الوصف والمدح.

6– وظف الشاعر الصور الفنية في جذب الانتباه وتثبيت المعنى في ذهن المتلقي، مما أدى إلى الربط الدلالي واتصال المعنى وترابط الأحداث.

7- تفاعلت في النص الظرف بنوعيها، فالزمانية دلت على التنوع الزمني الذي يوحي بالحركة، وتعدد مستوياتها، والمكانية التي تعلقت بها الاحداث واشارة إلى الطبيعة المكانية لأحداث النص واتساعها.

8- تمثل الربط النصي من خلال ارتباط التراكيب النحوية بالعالم الخارجي ذلك بوسائل الحذف والضمير اللذان يحيلان إلى العالم الخارجي.

المراجع:

1- ابن أبي الأصبع، (1967م)، تحرير التحبير في صناعة الشعر وبيان إعجاز القران، تحقيق: حفني شرف، دار إحياء التراث، ج2، القاهرة.

2- ابن جعفر، قدامة ، (1976م)، نقد الشعر، تحقيق: محمد خفاجة، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، مصر.

3- ابن طباطبا، محمد بن أحمد،(1985م)، منهاج البلغاء،تحقيق: عبد العزيز ناصر، مكتبة الخانجي، مصر.

4- أبو غزالة، إلهام ، (2002م)، مدخل إلى علم لغة النص، وعلي خليل، الهيئة المصرية العامة للكتاب،ط2، مصر.

5- أنيس، إبراهيم ،(1952م)، موسيقى الشعر، مكتبة الأنجلو المصرية، ط2، القاهرة.

6- بحيري، سعيد ، (1996م)، علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان، ط1، القاهرة.

7- الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر، البيان والتبين،(1978م) ،تحقيق: عبد السلام هارون، المكتبة العصرية، ط1، القاهرة.

8- جاد الرب، محمود ، (1991م)، علم الدلالة دراسة المعنى والمنهج ، دار عام للطباعة والنشر، المنصورة، ط1، مصر.

9- الجرجاني، عبد القاهر ، (2000م)، دلائل الإعجاز، تحقيق: محمود شاكر، الهيئة العامة المصرية للكتاب، القاهة، مصر.

10- حسان، تمام ، (1998م) النص والخطاب والإجراء، عالم الكتب، ط1،القاهرة.

11- حسان، تمام ، (1998م)، اللغة العربية معناها ومبناها، عالم الكتب، ط1، مصر.

12- حسان، تمام ، (د-ت) اجتهادات لغوية، عالم الكتب، ط1، القاهرة.

13- الخطابي، محمد ، (1999م) مدخل إلى انسجام الخطاب، المركز الثقافي العربي، مصر.

14- السقا، مصطفى ، إبراهيم الابياري، 1978م، ديوان المتنبي بشرح العكبري، عبد الحفيظ شلبي، دار المعرفة، بيروت،لبنات، المقدمة.

15- ضيف، شوقي ، (د-ت)، الفن ومذاهبه في الشعر العربي، دار المعارف، ط3، مصر.

16- العبد، د.محمد ، (2005م)، النص والخطاب والاتصال ، نشر الاكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، ط1، مصر.

17- الفاخوري، حنا ، (1947)، تاريخ الادب العربي المطبعة البوليسية، بيروت لبنان.
18- قاسم، عدنان حسين ،(1992م)، الاتجاه الأسلوبي البنيوي في نقد الشعر، ،مؤسسة علوم القران، ط1، الشارقة ،عجمان.
19- القيرواني، ابن رشيق ، العمدة، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، مكتبة السعادة، ط 1972م، مصر 2.
20- النحاس، مصطفى ،(2002م) نحو النصفي ضوء التحليل اللساني للخطاب، منشورات ذات السلاسل، ط1، الكويت.
21- واو زنياك، زتسيلاف ، (2004م)، علم لغة النص مشكلات بناء النص ، ترجمة: سعيد بحيري، مؤسسة المختار للنش والتوزيع،القاهرة،مصر.
22- وديتر فيهمجر، فولفجانية ، (1996م) مدخل إلى علم اللغة النصي النصي، ترجمة: فالح بن شبيب العجمي، منشورات جامعة الملك سعود للنشر العلمي.